رسالة إلى الأب

تأليف

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

مقدمة

الحمد لله الذي ﴿ لَمْ يلد وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن له كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٢-٤]، تفرّد بالوحدانية، وجعل من صفات خلقه الزوجية، فقال عز وجل: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لعلكم تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

أحمده وأشكره، وأصلي على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد :

فهذه الرسالة لها من اسمها نصيب، فهي رسالة وليست كتاباً، ولا بحثاً، ولا تصنيفاً جامعاً.

ولكنها رسالة نبّهتُ فيها على بعض القضايا المُعاشة في هذا الوقت تلمَّستها من المشاكل التي نعالجها والأسئلة التي نُسألها، والقضايا التي نخبرها.

فجمعت بعضها في هذه الرسالة، تنبيهات عجلى ليتبعها بعد ذلك ما يتممها من جوانب أخرى.

وعندما أطرحها اليوم بين يدي القارىء، فليعلم أن موضوع الأبوة وحقوقها وما يستلزمها ويستتبعها مما لا يحيط به كتاب فضلاً عن رسالة صغيرة، لتشعُّبه واتساعه وكثرة متعلقاته.

ولكن ! مثل هذه الرسائل الموجزة تحمل إشارات موجزة تفيد من لم يطّلع على مادة أوسع، وتدفع إلى مواصلة الاطلاع ومتابعة الاهتمام، فالقضية في غاية الأهمية، وحقيقٌ[1] بالأب معرفة واجباته، وكيفية أدائها، وتوقي الأخطاء وجوانب القصور في أداء دوره.

وفي هذه الرسالة ما نرجو أن يعين على ذلك، ويبصَّر بشيء منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

سلمان بن فهد العودة

---

[1] حقيق : أي جدير وحريّ .

تمهيد

❑ **الولد نعمة :**

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمةَ الولد، فقال عزَّ وجل: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ [المدثر: ١١-١٥]، فوجود الأولاد، بحضرة أبيهم يغدون معه ويروحون، هو زينة في المجالس، وبهجة في الحياة الدنيا، وعون على لَأْوَاءِ[١] الحياة؛ ولذا امتنّ الله بهذه النعمة في غير ما موضع من كتابه، قال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أنفسكم أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

(1) اللأواء : الشدة والمشقة، كذا في لسان العرب .

ولو تصوّر أحد منّا أنّه يواجه الحياة وحيداً فريدا، بلا ولد، ولا عون، ولا مساعدة؛ لشعر بأن الحياة مظلمة جدا، يعرف ذلك ويدركه حق المعرفة، أولئك الذين امتحنهم الله تعالى بالعقم، فلا يولد لهم، فيدخل الواحد منهم بيته، وهو يشعر كأنه يدخل قبرا، ليس فيه صياح الأطفال، ولا صراخهم، ولا تضاغيهم، بل ولا عبثهم الذي يتمناه، ويتصوره، ويتخيله، ويعرف ذلك ويتذوقه من رُزق رهافة الحس وسلامة الفطرة وقد صور هذا المعنى الشاعر عمر الأميرى – رحمه الله – في قصيدة "أب" حيث قال :

ذَهَبُوا، أَجَلْ ذَهبوا، وَمَسْكَنُهُمْ … في الْقَلْبِ، مَا شَطُّوا وَمَا قَرُبُوا
إنِّي أَراهُمْ أَيْنَمَا الْتَفَتَتْ … نَفْسي، وَقَدْ سَكَنُوا، وَقَدْ وَثَبُوا
وَأُحِسُّ في خَلَدِي تَلاعُبَهُمْ … في الدَّارِ، لَيْسَ يَنالُهُمْ نَصَبُ
وَبَرِيقَ أَعْيُنِهِمْ، إذا ظَفِرُوا … وَدُمُوعَ حُرْقَتِهِمْ، إذا غُلِبُوا
في كُلِّ رُكْنٍ مِنْهُمُ أَثَرٌ … وَبِكُلِّ زَاوِيَةٍ لَهُمْ صَخَبُ
في النَّافِذاتِ، زُجَاجَها حَطَمُوا … في الحَائِطِ الْمَدْهُونِ، قَدْ ثَقَبُوا
في الْبَابِ، قَدْكَسَرُوا مَزَالِجَهُ، … وَعَلَيْهِ قَدْ رَسَمُوا وَقَدْ كَتَبُوا

في الصَّحْنِ، فيه بَعْضُ ما أَكَلُوا ... في عُلْبَةِ الحَلْوى الَّتي نَهَبُوا
في الشَّطْرِ مِنْ تُفَّاحَةٍ قَضَمُوا ... في فَضْلَةِ الْمَاءِ الَّتي سَكَبُوا
إنِّي أَراهُمْ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ ... عَيْنِي، كَأَسْرابِ الْقَطَا، سَرَبُوا
دَمْعِي الَّذي كَتَّمْتُهُ جَلَداً ... لَمَّا تَبَاكَوا عِنْدمَا رَكِبُوا
حَتَّى إذا سَارُوا وَقَدْ نَزَعُوا ... مِنْ أَضْلُعِي قَلْباً بِهِمْ يَجِبُ
أَلْفَيْتُنِي كَالطِّفلِ عَاطِفَةً ... فَإِذا بِهِ كَالْغَيْثِ يَنْسَكِبُ
قَدْ يَعْجَبُ الْعُذَّالُ مِنْ رَجُلٍ ... يَبْكِي، وَلَوْ لَمْ أَبْكِ فَالْعَجَبُ
هَيْهَاتَ مَا كُلُّ الْبُكا خَوَرٌ ... إنِّي وَبِي عَزْمُ الرِّجَالِ أبُ

ويعرف ذلك ويحسُّه من فجع في ذريته بعد سرور بهم وغبطة، فأحس لوعة الفقد وحرارة الحرمان، وممن عبّر في ذلك الأستاذ : أحمد حسن الزيات حينما توفي ابنه رجاء، فكتب يقول : "لما جاء (رجاء) وجدتُني أُولد فيه من جديد؛ فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال، وأبسم إلى الوجود بثغر الأطفال، وأضطرب في الحياة اضطراب الحي الكامل يدفعه من ورائه طمع، ويجذبه من أمامه طموح! شعرت بالدم الحار يتدفق نشيطاً في جسمي،

وبالأمل القوي ينبعث جديداً في نفسي، وبالمرح الفتيّ يضج لاهياً في حياتي، وبالعيش الكئيب تتراقص على حواشيه الخضر عرائس المنى ! فأنا ألعب مع رجاء بلُعبه، وأتحدث إلى رجاء بلغته، وأُتبع عقلي هوى رجاء فأدخل معه ذهول البراءة في كل ملهى، وأطير به طيران الفراشة في كل روض، ثم لم يعد العمل الذي أعمله جديراً بعزمي، ولا الجهد الذي أبذله كفاءً لغايتي، فضاعفت السعي ، وتجاهلت النصب، وتناسيت المرض، وطلبت النجاح في كل وجه؛ ذلك لأن الصبي الذكي الجميل أطال حياتي بحياته، ووسَّع وجودي بوجوده، فكان عمري يغوص في طوايا العدم قليلاً قليلا ليمدَّ عمره بالبقاء ، كما يغوص أصل الشجرة في الأرض ليمد فروعها بالغذاء .

شغل رجاء فراغي كله، وملأ وجودي كله، حتى أصبح شغلي ووجودي ! فهو صغيراً أنا، وأنا كبيراً هو؛ يأكل فأشبع، ويشرب فأرتوي، وينام فأستريح، ويحلم فتسبح روحي وروحه في إشراق سماوي من الغبطة لا يوصف ولا يُحد !!

ما هذا الضياء الذي يشع في نظراتي ؟ ما هذا الرجاء الذي

يشيع في بسماتي؟ ما هذا الرضا الذي يغمر نفسي ؟ ما هذا النعيم الذي يملأ شعوري ؟ ذلك كلُّه انعكاس حياة على حياة، وتدفق روح في روح، وتأثير ولد في والد !"

وفي مراثي الشعراء لأبنائهم ما يبرز كثيراً من معاني الأبوة التي قد لا يحس بها الإنسان في زحمة معاناته اليومية.

إن الذرية هبة من الله؛ لذا قال عز وجل :

: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وهذه النعمة العظيمة ما زال يُفرح بها ويُسر، منذ أول الدهر؛ بل ما زال الإنسان يجد في هــؤلاء الأولاد الروائح الزكية، والأنفاس الطيبة، والفرحة التي يفرح بالدنيا من أجلها.

يقول أحدهم:

لولا بنياتٌ كزُغبِ القطا   رُدِّدن مــن بعضٍ إلى بعضِ

لكان لي مضطربٌ واسعٌ   في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنّما أولادُنا بيننـــا   أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبتِ الريحُ على بعضِهم   لامتنعتْ عيني عنِ الغمضِ

فهؤلاء الأولاد هم كالأكباد التي تمشي على الأرض.

- **والبنت نعمة:**

ربما رأيت بعض الناس يتضايقون من إنجاب البنات، ويتبَّرمون منه، وينسون أن البركة ربما تأتي مع البنت، والعون الرباني ربما يصاحبها، وأن الله تعالى قد يرزق الإنسان بسببها.

قال ﷺ : "**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟**"[(١)] وفي حديث آخر قال ﷺ: "ابغوني ضعفاءكم، إنما تُرزقون وتنصرون بضعفائكم"[(٢)]، والمرأة والبنت من الضعفاء، فالمؤمن الحق يفرح بميلادها، ويحمد

---

(1) أخرجه البخاري (٢٦٨١) من حديث سعد رضي الله عنه

(2) أخـــرجه الترمذي (١٦٢٤)، وأحمد (٢٠٧٣٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

الله ويشكره، ولو لم يكن من ذلك إلا مخالفة لعادات الجاهلية الأولى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩] فلو لم يكن من الفرح بالبنت إلا مخالفة عادات الجاهلية الأولى وإعلان الرضا بما كتبه الله تعالى وقدّره وقضاه؛ لكان ذلك خيرا.

ويكفيك أن تعلم كيف كان النبي ﷺ يعامل ابنته فاطمة رضي الله عنها-؟ وكيف فرح بها؟ وكيف فرح ببناته الأخريات؟ وكيف كان ﷺ يُظهر لهنّ من الودِّ، والحب، والعطف ما لا يخطر على بال؟

عبرة من الواقع:

فثمة رجل كان لا يولد له إلا البنات، فضاق بذلك ذرعا، فلما حملت زوجته هدّدها إن هي أنجبت هذه المرة أنثى، أنه سيطلقها، أو يتزوج غيرها.

وذهبت زوجته إلى المستشفى، وهي في كرب شديد، ولاحظ

الأطباء على وجهها علامات الإعياء والإرهاق، وعلى قسماتها آثار حزن عميق طويل، فسألوها: ما الخطب؟ فتمنَّعت، ثم ألحُّوا عليها فأخبرتهم، فقال أحد الأطباء: أنا له، وانتظر الزوجَ طويلاً حتى قدم، فقال له: أبشرْ بولد، فتهللَّ وجهُ الزوج وفرح وأشرق، ثم أضاف: ولكنه مصاب بِعُتْه وتخلُّفٍ عقلي، بسبب نقص في الدماغ، ومصاب بنوع من التشوُّه الجسماني، ثم طفق يصبِّره ويرضيه بقضاء الله تعالى وقدره!

فانهملت من عيني الأب دمعتان، وقال: ما هذا إلا بسبب عدم رضاي بقضاء الله تعالى وقدره، حينما سخطتُ البنات، والله لو لم يكن نسلي إلا بنات لا يرى الله تعالى منِّي بإذنه إلا الرضا بما قسم.

فقال له الطبيب: إذن هوِّن عليك، فإنما رزقك الله تعالى بنت كاملة سوية ليس فيها ما يُنقَص أو يُعاب.

فاستغفر الله تعالى، وعرف عظيم نعمة الله تعالى عليه، حين

رزقه ولدا[1] سويا سليما معافى من الآفات والأمراض، والنقائص العقلية أو الجسمية، وإنما تعرف النعمة بفقدها.

إذن الأولاد – ذكوراً أو إناثاً – نعمة عظيمة، ينبغي أن نرعاها ونتعاهدها، ونشكرها حق شكرها، وذلك بمعرفتنا لحقوق أولادنا التي كفلها لهم الشارع الحكيم، وعلمنا بالوسائل الصحيحة والناجحة في تربية أولادنا .

(1) الولد يطلق على الذكر و الأنثى.

الفصل الأول

حقوق الأولاد في الإسلام

❑ **شكر نعمة الولد :**

أيها الأب: هل تدري أيَّ نعمة أنت فيها؟ وهل تدري أي شكر أنت مطالب به؟ فإياك أن تكون ممن يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، إن واجبك هو الشكر، والشكر ليس كلاماً فقط، بل هو عمل، قال الباري جل وعلا ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] "**اعملوا**"! إذن الشكر عمل، وتطبيق، وامتثال، وتنفيذ أوامر المنعم فيما أنعم به عليك.

فشكر المال مثلا، أن تكسبه من حله، وتنفقه في حله، وتؤدي حق الله تعالى فيه.

وشكر الولد يكون كذلك بأشياء عملية،و من ذلك: القيام بحقه في شريعة الله تعالى ، ولذلك كان على كل أب أن يعرف هذا الحق.وسوف نحاول في هذا الفصل أن نلقي الضوء على

بعض حقوق الأولاد في الإسلام.

❑ حقوق الأولاد في الإسلام:

- **أولا:الحقوق المادية:**

الكثيرون منا يعلمون أن من حق الولد أن تطعمه إذا طعمت، وتكسوه إذا اكتسيت، وتؤويه من أذى الحر والقر، وهذا صحيح، ولكن هذا الطعام الذي تقدمه له، وهذا اللباس الذي تمنحه إياه، وهذا البيت الذي تؤويه فيه؛ يجب أن تتذكر أنك مسؤول بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، من أين أطعمته؟ ومن أين ألبسته؟ وفيم أسكنته ؟

إنه لغبن شديد وخسارة عليك أية خسارة؛ أن تتعب في جمع المال في هذه الدنيا، ثم تضعه لقمة في فم ولدك، أو تضعه ثوبا على جسده، أو تبني به بيتا يؤيه، ثم يكون ذلك عارا عليك في الدنيا، ونارا عليك في دار القرار؛ لأنك كسبت هذا المال من حرام، فكسبت المال من الربا، أو من بيع الحرام، أو ما أشبه ذلك من المكاسب المحرمة، التي يعلم صاحبها قبل غيره أنها حرام.

فإن من حكمة الله تعالى : أنه جعل في قلب الإنسان فرقانا، يبين له الحرام في هذا الأمر، "**البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**"(١).

فعليك أن تقي نفسك وولدك المكسب الحرام، وأن تتذكر أن النبي ﷺ قال: "**إنه لا يربو لحم نبت من سحت، إلا كانت النار أولى به**".(٢)

إذاً فعليك مراقبة مكسبك الذي تطعم منه ولدك وتنقيته أن يكون فيه سحب أو حرام.

هذا أبو بكر – رضي الله عنه– كان له غلام يخرج له

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٤٢١)، وأحمد بنحوه (١٧٣١٣)، (١٧٣١٥)، (١٧٣٢٠)، من حديث وابصة بن مَعْبَد الأسدي رضي الله عنه ؟!

(٢) أخرجه الترمذي (٥٥٨)، وأحمد بنحوه (١٣٩١٩)، (١٤٧٤٦) من حديث كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه.

الخراج[١]،وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيءٍ فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام : "أتدري ما هذا؟"،فقال أبو بكر:"وما هو؟"،قال:"كنت تكهنت[٢] لإنسان في الجاهلية و ما أحسن الكهانة[٣]،إلا أني خدعته فأعطاني بذلك[٤]،فهذا الذي أكلت منه"، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيءٍ في بطنه.

و في رواية أنه- أي الغلام — كان يجيء بكسبه فلا يأكل منه حتى يسأله، فأتاه ليلة بكسبه فأكل منه و لم يسأله، ثم سأله[٥]

(١) يخرج له الخراج:أي يأتيه بما يكسبه، و الخراج ما يقرره السيد على عبده من مال يحضره له من كسبه.

(٢) تكهنت: أي حدثته عن الغيب.

(٣) الكاهن: هو من يدعي معرفة الأسرار وما يقع في مستقبل الزمان. والعرب تسمي كل من يتعاطى علماً دقيقاً "كاهنا" ، وربما سموا المنجم والطبيب كاهنين لذلك . انظر (لسان العرب) (كهن).

(٤) فأعطاني بذلك: أي عوض تكهني له.

(٥) أخـــرجه البخاري (٣٨٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها وعند عبد الرزاق بـــنحوه، بسند صحيح . وفي (الورى) للإمام أحمد بسندٍ رجالُه ثقات ، لكنه مرسل . وأنظر : الفتح ٧ / ١٥٤.

وفي رواية عن زيد بن أرقم قال:"كنت عند أبي بكر، فأتاه غلام بطعام،فأهوى إلى لقمة فأكلها، ثم سأله: من أين اكتسبه؟ قال: كنت قِسّاً للقوم في الجاهلية،فأوعدوني فأطعموني هذا - يعني اليوم- فقال: لا أراك إلا أطعمتني ما حرّم الله و رسوله، ثم أدخل إصبعيه فتقيأ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به**"[١]

إنه لغبن عظيم، أن تبذل جهدك، وعقلك، وتفكيرك، من أجل الحصول على هذا المال، ولكنه مال حرام، فتطعمه زوجتك وأولادك، فيكون لهم طيبه، وعليك أنت إثمه وجرمه.

هذا فضلاً عن أن أجسادهم تلك التي نبتت من حرام، لا يبارك لك فيها، فلا نظنك تجد برهم، ولا تفرح ببركتهم، ولا تجد شيئا من نفعهم في هذه الدنيا، وأنت قد أطعمتهم من ذلك المال الحرام.

فأول الحقوق: ما يمكن أن نعبر عنه بالحقوق المادية، من

(٥) أخرجه البيهقي في كتاب شعب الإيمان (٥٧٦٠) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

مطعم، وملبس، ومشرب، ومسكن وغير ذلك، ولكن ينبغي أن تعلم أن هذه الحقوق، لا يمكن أن تأتي بها إلا من طريق حلال يرضي الله عز وجل .

- **ثانيا:حق التربية الدينية:**

فهو حق التربية الدينية، والقيام عليهم في أمر دينهم، يجهله الكثيرون. فيهملون أمر الأولاد، ولا يتابع الأب أبناءه، بل هو مشغول بصفقاته التجارية، أو بالوظيفة، أو المزرعة، ثم إذا كبر الولد، رأى منه إعراضاً وإهمالاً وسوءاً في الألفاظ والعبارات، وقسوة على والده وعدم انصياع لأوامره؛ بدأ يتأفف ويقلب رأسه يمنة ويسرة ويقول: الله المستعان على أبناء هذا الزمان!

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينـــا   وما لزماننـــاِ عيبٌ سوَانا

وقدْ نهجُو الزمانَ بغيرِ جرمٍ   ولو نطقَ الزمانُ بنا هجَانا

هل وجدتَ مزارعا يترك مزرعته دون سقي أو متابعة، ثم ينتظر أن تثمر؟!

إن أولادك هم بذرة، ولكنها أعظم بذرة في الدنيا، فلابد أن تتعهدهم منذ البداية وذلك من عدة جوانب منها :

١. اختيار الزوجة :

فإنها الأم، وهي المحضن الأول الذي يتربى فيه الأطفال.

وأنت واجد من الشباب المقبلين على الزواج، من يسأل عن جمال الفتاة، وقد يسأل عن نسبها، وعن دراستها، ووظيفتها، وقد يدقق فيسأل عن طول الشعر، وتفاصيل الوجه، وكل شيء، ولا نلومه لكننا نقول له: لماذا لم تسأل عن أخلاقها؟ ودينها ؟ وحال بيتها وبيئتها ؟ حتى تطمئن إلى أن أولادك سوف يتربون بإذن الله تعالى في تربة صالحة وبيئة طيبة؟!

إننا نعلم الكثيرين ماتوا وطفلهم الأول ما يزال في بطن أمه، فهب أنك كنت ذلك الإنسان ! فمع من سيكون ابنك ؟ وفي أي بيئة سيتربّى ؟

إن الطفل يحتاج إلى أمه كثيرا خاصة في السنين الأولى من تربيته، فإذا كانت الأم فاسدة، أو جاهلة، أو قاسية سيئة الخلق فكيف يتربى أولادك في مثل هذا الجو العاصف غير المستقر ؟!

فلا بد أن تبدأ تربية الطفل باختيار الزوجة ولا نلومك في حسن الاختيار في الأمور الجسمية، ولكننا نطالبك أيضا أن تبحث عن

ذات الدين والخلق – تربت يداك[1].

٢- التحصين عند أطوار الخلق الأولى :

وذلك بذكر الله عزوجل عند اللقاء بين الزوجين ، فيحصن المولود عند الأطوار الأولى من الخلق ، فعن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ قال : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : "لو أنَّ أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : باسم الله ، اللهم جنِّبْنا الشيطان وجنِّب الشيطان مارزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً"[2].

٣ – اختيار الاسم :

ثم من حسن التربية، أن تختار الاسم المناسب للولد، فلا تعطيه أي اسم، ربما يعيبه ويزعجه إذا كبر، كمن يلتزم باسم أبيه أو جده مع عدم مناسبته لهذا الزمان، وقد غير النبي ﷺ الأسماء

(١) أخـــرج البخاري (٤٧٠٠)، ومسلم (٢٦٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عـــنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك".

(2) أخرجه البخاري (١٤١) ومسلم (١٤٣٤).

القبيحة والمستنكره إلى أسماء جميلة حسنة المعنى.

وتجاوزُ هذا الأدب بفرض أسماء غير مناسبة على الذرية يُحدث ضرراً هو أشبه بالعاهة المستديمة. وهناك من البنات والأبناء من كان اسمه سببا في أمراض نفسية لحقت به، لأن الاسم كلما ذكر التفت إليه الناس، منهم من يتبسم، ومنهم من يضحك، ومنهم من يداري فمه في نفسه عجباً واستغراباً [٢].

- **التربية لا تنتهي إلا بالموت :**

فمن هنا تبدأ التربية، تبدأ باختيار الزوجة، وذكر الله تعالى على كل حال، حتى عند مضاجعة الزوجة، واختيار الاسم المناسب للولد، ثم لا تنتهي بعد ذلك إلا بالموت، فليس ثمة حد محدود ينتهي عنده أمر التربية.

فهذا رسول الله ﷺ يتابع بالتربية أبنته فاطمة وهي في بيت الزوجية بل وهي وزوجها في فراشهما، ففي المتفق عليه من

(٢) انظر تحفة المودود لابن القيم ، وتسمية المولود للشيخ بكر أبو زيد .

حديث علي –رضي الله عنه – قال اشتكت فاطمة ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة ، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ : (على مكانكما) فقعد بيننا حتى وجدتُ برد قدمه على صدري ثم قال : "ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، فكبرا الله أربعاً وثلاثين وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم"[١]

[١] أخرجه البخاري (٣١١٣) ، ومسلم (٢٧٢٧).

الفصل الثاني

وسائل التربية

❑ **أولا: الحنان والعطف :**

إن من أهم وسائل التربية زرع الحنان في المترل، فلا يجوز أن يكون الأب في بيته (إمبراطورا) ، مقطب الحواجب، مكفهر الوجه، لا يحسن إلا الصراخ، والشتم والسب، وتوزيع الأوامر يمنة ويسرة!

إن هذا الأسلوب لا يمكن أن يخرج أولادا صالحين؛ بل لا يخرج إلا أبناء محطمين، أو أشراراً متمردين، وليست قدوتك أيها الأب هؤلاء الناس الذين قد نتناقل أخبارهم – أحيانا – أُنهم على مستوى من الهيبة، وقوة الشخصية، بحيث يُخاف منهم، ولا يُؤمَن جانبهم، بل قدوتك أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وحسبك ويكفيك هؤلاء قدوة.

- **محمد ﷺ النموذج الأكمل في الحنان والعطف:**

فهذا نبينا محمد ﷺ يضع الصبي في حجره، ويضمه ويشمه ويقبله، حتى لو لم يكن من ولده، وربما بال الصبي في حجر النبي ﷺ، فدعا بماء؛ فرشّه إن كان ابناً، وغسله إن كانت بنتا، والأمثلة التالية من سيرته ﷺ توضح ذلك:

المثال الأول:

قال أبو هريرة رضى الله عنه : "خرج النبي ﷺ في طائفة النهار، لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: "**أثَمَّ لُكَعْ؟ أثَمَّ لُكَعْ؟ (يقصد الحسن رضي الله عنه) فحبسته شيئا، فظننت أُنها تلبسه سِخابا، أو تُغسِّله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله**".[1]

المثال الثاني:

قالت عائشة رضي الله عنها : "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان؟! فما نقبلهم. فقال النبي ﷺ: **أو أملك**

(1)أخرجه البخاري (١٩٧٩)، ومسلم (٤٤٤٦) بنحوه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولُكَع: أي الصغير. والسِخاب: خيط من الخرز يوضع في العنق كالقلادة.

لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟".[١]

المثال الثالث:

قال أبو هريرة رضي الله عنه : "قبّل رسول الله ﷺ الحسن ابن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: "**من لا يَرحم لا يُرحم**".[٢]

إن أولئك الذين يدمرون المجتمعات، ويخربونها، ولا يحترمون التقاليد، ولا العادات، ولا الأخلاق، ولا الأديان، هم في الغالب أولئك الذين نشأوا في بيئات فقدوا فيها الحنان، وهذا الابن، أو البنت التي فقدت الحنان، سرعان ما يجدان قرناء السوء الذين يشعروهما بالحنان.

(1) أخـــرجه البخاري (٥٥٣٩)، ومسلم (٤٢٨١) بنحوه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) أخـــرجه البخاري (٥٥٣٨)، ومسلم (٤٢٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مثال من الواقع:

هـــذه بنـــت تقسو عليها أمها، وتغلظ لها القول، وتشتمها صباح مساء وتعيرها، حتى شعرت البنت بأن الأرض قد ضاقت عليها بما رحبت، وفي أحد الأيام تسمع رنين الهاتف، فترفعه من باب الفضول؛ ولأنها لم تترب تربية سليمة، فتعودت أن ترد على الهـــاتف دائمـــا وأبدا، فتجد صوتا هادئا رخيما عذبا، يحدثها ويســـألها عـــن أحوالها، ويطمئن عليها، ويخبرها بأنه يحبها، وأنه يموت إن لم يلقها، أو يرها!

فصدقت هذه المسكينة، وظنت أنها وجدت الحنان الذي فقدته في بيتها، وصور لها هذا الذئب نفسه بأنه حمل وديع، وأنه لا يستطيع العيش بدونها، فإذا قضى منها ما يريد ألقى بها، وذهب يبحث عن غيرها، وجلست هذه المسكينة تعاني آلامها ومشاكلها.

وما علم المجتمع أنها – وإن كانت مسئولة عن جريمتها – إلا أن أمها وأباها مسئولان قبلها؛ لأنهما لم يراقباها مراقبة صحيحة؛

ولأنهما لم يمنحاها الحنان الكافي الذي يشبعها ويكفيها، فصارت تشعر أنها بحاجة إلى من يعبر لها عن محبته لها، ويسألها عن أحوالها، وتفضي له بهمومها، وتتكلم معه عن مشاكلها وآلامها وأحزانها.

❑ **ثانيا: الاستقرار الأسري :**

لا بد من التفاهم بين الوالدين، فكيف سيكون حال البيت، وحال الأولاد والبنات، الذين ينامون ويصحون على مشاكل الخصومة بين الأم والأب؟!

فالأب يتكلم على الأم، والأم تتكلم عليه أمام الأطفال، ثم إذا خلت الأم بالأولاد قالت لهم: أبوكم فيه كذا وكذا، وإذا خلا الوالد بأولاده قال: أمكم فيها كذا وكذا وكذا، وعسى الله تعالى أن يعين عليها!

إن الأطفال لن يشعروا بالاستقرار والطمأنينة والأمان في هذا الجو القلق المتوتر، وبذلك يصبحون عرضة للفساد والانحراف.

إن معظم الأولاد والبنات الشاذين والمنحرفين، الذين يُقبَض

عليهم عن طريق أجهزة الأمن، يكونون من بيوت لا تعرف الاستقرار العائلي.

❑ **ثالثا:القدوة الحسنة :**

ومن وسائل التربية القدوة الحسنة:

مشى الطاووس يوما باختيالٍ فقلَّد شكلَ مشيتهِ بنوهُ
فقالَ علامَ تختالونَ؟ قالـــوا سبقتَ به ونحنُ مقلدوهُ
وينشأُ ناشئ الفتيان منَّــــا على ما كانَ عَوَّدَهُ أبوهُ

فالكلمات التي يرددها الأب سواء كانت طيبة أو خبيثة، سوف يرددها الطفل من يوم بدأ يحسن النطق والكلام، وقد يفرح الأب بذلك!

فربما سمعت الابن الصغير ينطق كلمة فاحشة بذيئة، أو شتيمة، فيضحك الأب، وتضحك الأم، لماذا ؟ لأنه بدأ يتكلم! وينسون أن هذا الضحك يعني عند هذا الطفل: أن هذه الكلمة كلمة حلوة جميلة، وأنه ينبغي أن يرددها.

وهذه الكلمة لم تخلق مع الطفل، و لم تولد معه، وإنما ترامت إلى أذنه من فم الأب، أو من فم الأم، أو بعض أهل المترل، وهكذا الأفعال. فلا بد من القدوة الحسنة؛ ليتربى الطفل عليها قبل أن تكون التربية كلاما يقال باللسان

❑ **رابعا: البيئة الصالحة** :

ومن وسائل التربية اختيار البيئة الصالحة، وإصلاح البيئة التي يكون فيها الأولاد- كما ذكرنا من قبل- باختيار الزوجة، وبحسن التربية، وبالعناية بحسن العلاقة الزوجية، وجعل أي مشكلة بين الزوجين تُناقَش في جو خاص، بعيدا عن علم الأطفال، ليكون الجو العام سليماً بعيداً عن المنغصات والكدر الذى يشوش ذهن الطفل ويشتت نفسه ويدفعه للبحث عن بيئة أخرى يجد فيها ملاذاً يهرب إليه .

- **الأصدقاء** :

من البيئة التي ينبغي أن يختارها الأب الأصدقاء، فمن أصدقاء ابنك؟ ومن صديقات ابنتك؟

إن أول خطوة في هذا المجال: أن تكون أنت صديقاً لابنك وابنتك، تملأ فراغ نفسه وشعره بالقرب منه ثم تضع له بالتوجيه الحسن المعايير الضابطة فيمن يصادق، وتحرص على ربطه بالناجحين الصالحين، ذوي الأخلاق الحسنة والسلوك الرشيد، ثم تفتح عينيك كلتيهما على علاقاته، فإذا رأيت رفقة سيئة أو سلوكاً غير سويّ حذرته بالإقناع والمحاورة وبيان العواقب، وبدون هذه العناية فإن الفتاة قد تمضي مع فتيات عابثات، والفتى قد ينجر مع رفقة سوء .

وإن أول خطوة يمكنك أن تمنعها، لكن ! ما الذي يمكنك عمله إذا صار ولدك في نهاية الطريق ؟

- **المدرسة** :

وكذلك الحال بالنسبة للمدرسة، فهل تدري ما مستوى هذه المدرسة من حيث العلم، ومن حيث الأخلاق، ومن حيث التربية، ومن حيث المراقبة؟!

لا بد أن تختار المدرسة، ولو استدعى الأمر أن تذهب بولدك

بالسيارة إلى مدرسة بعيدة لكونها أفضل وأحسن.

❑ **خامسا: تصحيح الأخطاء** :

ومن وسائل التربية تصحيح الأخطاء، حينما يقع فيها الولد، أو تقع فيها البنت.

كيف نصحح الأخطاء؟

تصحيح الأخطاء يكون بأمور كثيرة، منها ما يلي:

أولا: بالكلمة الطيبة والتوجيه السليم، فإذا أفاد وإلا تشتد عليه بالكلام.

ثانيا: بالحرمان، فتقول : يا ولدي أنت أخطأت اليوم؛ ولهذا فلن أعطيك كذا، ولن أمنحك كذا.

ثالثا: بالترغيب والترهيب، فتقول لولدك مثلا: إن تركت كذا فلك عندي كذا.

- **المبالغة في العقاب:**

ويجب أن ينتبه الأب إلى أنه في الوقت الذي يصحح فيه الأخطاء

ويعاقب عليها أحياناً، فإنه لا ينبغي أن يجعل تصحيح الأخطاء سيفا يحطم به الولد وألا يبالغ في القسوة والعقاب ويتمادى فيه، فإن ردود الفعل قد تكون عنيفة وعواقب العنف قد تكون أعنف وإن الله يعطى على الرفق مالا يعطى على العنف. ونسوق هذه القصة لتكون عبرة لكل أب وأم.

❑ **سادسا:احترام الشخصية** :

ومن وسائل التربية: احترام شخصية الطفل، وألا نَعُدَّ مقياس حسن التربية أن يقول الطفل لنا: نعم، سمعاً وطاعة، ولكن من التربية أن يكون للطفل شخصية مستقلة واثقة، وأن تكون لديه ثقة بنفسه، ومعرفة بإمكاناته، وقدرة على الكلام، وقدرة على المشاركة.

فمثلا حينما تذهب بالطفل من أجل أن تشتري له لعبة، يُفضَّل ألا تختار أنت له لعبة وتسلمها له؛ بل تجعل له نوعا من المشاركة، فتقول له: هذه اللعبة ثمنها كذا وصفتها كذا، وفائدتها كذا، وهذه وهذه وهذه، ثم تجعل له لونا من الاختيار، وتساعده

أنت عليه، حتى تكون له شخصية، وتستشيره حتى في بعض أمورك الدنيوية، حتى يتعود أن يشاركك في مشاغلك منذ الصغر، ولو لم تقبل رأيه، لكنه يشعر بأن له رأيا، واختيارا وله قيمة.

❑ **سابعا: العدل بين الأولاد** :

وأخيرا ... فإن من أعظم وسائل التربية العدل بين الأولاد، وقد بيَّن ذلك النبي ﷺ -كما في حديث النعمان بن بشير- أن أمه سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة : أي : مطلها : ثم بدى له فقالت : لا أرضى حتى تُشهِد رسول الله ﷺ علي ما وهبت لابني ، قال : فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذ غلام فقال : يا رسول الله إن أم هذا أعجبها أن أُشهدك علي الذي وهبت لابنها فقال الرسول ﷺ : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم ، فقال أكلهم وهبت لهم مثل هذا ؟ فقال : لا ، قال : فليس يصلح هذا أَشِهد علي هذا غيري فإني لا أَشهدُ على جورٍ ، ثم قال : أيسرك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء ؟ قال : بلى ، قال : فلا ، إذن ، اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ، قال

النعمان : فرجع أبي فرد تلك الصدقة [1]، فإياك إياك أن تشعر أحد أولادك بأنك لا تحبه، أو أنك تفضل غيره عليه، أو تشعر البنت بأن الولد مفضل عليها؛ فإن هذا من أعظم أسباب العقوق، وكما تريد أن يكونوا لك في البر سواء، فيجب أن تكون لهم أنت في التربية، والقيام على شؤونهم، عادلا بعيدا عن الظلم: **"اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة".**[2]

ومتى حصل التمييز في المعاملة بين الأولاد نبتت في قلوبهم الأحقاد، فتباغضوا وتدابروا وحلّت بينهم القطيعة، والسبب ذاك الأب الذي لم يحسن توزيع عطفه وبرّه على ولده.

---

(1) أخرجه البخاري رقم (٢٥٨٧) ومسلم رقم (١٦٢٣) وهذه ألفاظ رويات مسلم.

(2) أخرجه مسلم (٤٦٧٥) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، وأخرجه البخاري بنحوه (٢٢٦٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الفهرس